التآلف والتسامح في القرآن الكريم

الألفة.. التسامح.. العفو

بسم ا الرحمن الرحيم

للإنسان علاقات فاعلة يرجع إليها الحكم في تحركاته مع من حوله من بني البشر، تقف في قبال العلاقات الثابتة مع ما سواهم في قائمة الوجود، فهذه ليست إلا علاقة من طرف واحد تنحصر الفائدة فيها بالإنسان !

ولكن ولكي يكون التفاعل بمستوى الطموح فإنه يتطلب الوقوع على أكبر كم من الافتراضات الأساسية (1) للبرمجة الأخلاقية القرآنية فهي مليئة بكلمات القوة والقدرة على تصعيد وتيرة العلاقات الإيجابية. .

وهناك ثلاث محاور مؤكدات في الفرضيات القرآنية الذي هو مصدر الفيض الفكري والمعنوي الإسلامي والمحاور هي:الإلفة. . التسامح . . العفو .

وإن هذه مراحل قد تتقارب في المفهوم ولا يخلص إحدها عن الآخرى إلا بعد الإبصار بالفوارق الدقيقة بينها .

التألف: هو المداراة والاستيناس (2).

المسامحة: المساهلة وتسامحوا تساهلوا والتسامح من المسامحة (3).العفو: ويكون بمعنى المحو {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}، وتأتي بمعنى أخذ الميسور{خُذِ الْعَفْوَ} أي الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم (4)، ولكنه بهذا التعريف يمكن عده بندا من بنود التسامح إذا جعلنا التساهل أعم من الرفق وأخذ الميسور . .

· السلوكيات الثلاث مورد اهتمام الملائكة:

لقد جاء منطق الملائكة مشفقا من أن يؤول أمر الخلق الذي سمعوا لإعلانه الجديد إلى علاقة تنافر تجر ورائها كل ألوان العنف وسيطرته على الأرض فيسري الإفساد ويتجشم فيه هذا المخلوق كل مشقة ويخوض كل غمرة وسيكون أخطرها سفك الدم كل ذلك عندما تغيب علاقة التواؤم والتلاحم في طبائعها الثلاثة الرئيسة:التآلف. . التسامح . . العفو . .

قال من له الحجة جميعا: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}(5).

- وهكذا تتحول عناويننا المطروحة إلى مواثيق !

حينما يكون المخلوق عاقلا فإنه لا يحتاج إلى تسيير ولا إلى جبر وقسر على الاستقامة وفق الطريقة التي هتف بها القرآن ذات مرة فقط:{ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}(6)، بل إن تسييره يساوي الشهادة على نقص خلقه وعدم قابلية هذا العقل الذي هو من أحب ما خلق ا تعالى للإرسال . .

بينما سيكون الاعتماد على العقل كليا وفي المهام الصعبة التي ينفذ إليها بقوة إدراكه شاهد في المقابل يقر له بكمال القوة التي بها يستطيع أن يستقل في حاجته كما أن صحة اللوم في الذوق لمن يعقل ولا يعمل ومن ثم استحقاق الجزاء شاهدان على كماله في نفسه لنا أن نتصور شاهدا على يمينه وآخرعلى شماله .

ولأجل أن لا يتوهم كونه مسيرا أو ناقصا غير كامل ذكر في القرآن بميثاقه المشتمل على المواثيق الثلاثة (التآلف والتسامح والعفو) يقول ملك يوم الدين:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}(7)وعندما نركز النظر في الميثاق القرآني نجده يفشي أطروحة إلهية للتآلف والتواصل تشتمل على طرف إيجابي يتبعه طرف سلبي..

أما الإيجابي: وهو ما عبرنا به من الذكر الحكيم ويشتمل على ثمانية أهداف يحققها المتآلف والمتسامح .

وأما السلبي: فتطالعنا به الآية الملاصقة لتلك يقول ملك الناس:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}(8)، وتضم صورتين هما الأخطر فتكا بالتآلف والتألف الاجتماعي، الإخراج من الديار، أو الاخراج من الدار الدنيا بسفك الدم ؟!

- العفو الوجه المشرق للتسامح:

إنه الوسيلة الانسانية الأقوى لإطفاء نار الانتقام في النفوس، وللتنفيس عن الغضب والابتعاد عن التشفي بالآخر؛ لأن هذه سمات وأحاسيس تظهر القبح الفاعلي إذ قد يمارس ابن الانسان معروفا يرجع إلى الحُسْن الفعلي ولكن بقبح فاعلي ــــ هذا في القاموس الكلامي ــــ وبنفس مخنوقة ومريضة ــــ في المعجم النفسي المعاصر ــــ لهذا ربما كان الحق مشروعا ولكن يتوسط الشرع الكريم بمشورة العفو عن الحق لحماية النفس من هذا القبح وهذه الأمراض الروحية . .

لهذا أمر بالعفو حتى في أجواء القصاص يقول من إليه مرجع العباد: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(9).

فمادة(ع.ف.ى) بكل تصريفاتها مرآة للمعنى الروحاني الذي لا يميل ولا يحيف ولا يجافي وهذه مخاييل التقوى كما هو وصف ذي الجلال:{ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}(10).

- مفاتيح التآلف والصفات العاضدة له:

لقد شغل القرآن حيزا منه بعرض خارطة الطريق إلى الإنسانية المشتركة في مركبها الثلاثي(التآلف والتسامح والعفو)، ولكنه تعامل مع هذه المفردات ككلمات أجنبية تقتضيه تفسيرا وتبيينا للناس فنزلها منزلة الكلمات التي قد ينطق بها الناطق ولكن لا يشعر بانسباق أي معنى إلى ذهنه أو يصل إليه المعنى المجازي أو الكنائي قبل الحقيقي، وهذا أسلوب ينتجعه القرآن الكريم للفت العقول

وفي ظل هذا أطال قرآننا المجيد التركيز على هذا العدد البسيط من الكلمات وربطها بآلتها السلوكية الاتية. .إذن هي سلوك في جذر سلوك بل جذور سأضع لها سلسلة في ذهن القارئ ليعد حلقاتها كالتالي:

1 ـــ فمن القواعد المهمة الاختلاط:يقول اللطيف الخبير:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}(11) فبالرغم من شدة حراجة الموقف وصعوبة المرحلة في التعامل مع اليتيم إلا أن الخطاب الحكيم لم يتجه بالمسؤولية إلى ترك المخالطة بل إن التعبير بـ{إخوانكم} مشعر منذر بحاجتهم المعنوية إلى المتألفين لهم فالتخلي عنها تخلي عنهم ؟!

وفي الآية نسبة أخرى إلى مبدأ التألف ننتظر بها نهاية الورقة !

2 ـــ ومن مجددات الطاقة في العشرة: الروحانية والعبادة:

فهذا ما قد أوضحه الواحد القهار:{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}(12).

فإنه قد جعل الورود التسع في باقة الإحسان مجرورات وراء عبادة ا تعالى والحذر من الشرك به جليا كان أو خفيا؛ إذ قد يشرك السالك بين ا ورغبات نفسه وهنا يتوقف النزاع بين أمر ا والنفس بالطاعة وقوف الحق بين يدي المتنازعين ؟!

وإنه سبحانه وله الحمد لم يضع الندبة إلى تلك المكارم خلف الندبة إلى عبادته إلا لأجل أن يكشف للمتنورين بالقرآن عن أن العبادة تمنح الاستعدادات الروحانية الكامنة بقاء أطول ونفسا أجمل؛ إذ ليس شكوى بني البشر فيما نرى من تعثر برامج الإحسان لديهم نقص في الاستعداد فهو فطري ولكن ثمة مشكلة عارضة وهي قاصرية التحمل وعدم عمق النفس "اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه ..."(13)

3 ـــ ومن أذرعة القوة لمن يريد التآلف في صورة السلم: الخوف من ا تعالد:مما جاء به العزيز العليم: { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ

لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}(14).

فالخوف من الله سبحانه يجعلك تقبل متألفا الآخر وإن لم يقبل هو عليك ..

4 ــــ ومن بين مصادر القوة أيضا حب الله جل وعلا: قال بديع السموات والأرض: { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} .

5 ــــ ومن شروطها المعتبرة تنظيم الصفوف للبرامج الدينية: لتتم بحضور الجماعة أو تنسب إليها وإن لم تكن الجماعة قد نزلت في مكان واحد وزمان فارد . . وهذا ما يصفه اللطيف الخبير وصفا جماعيا:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، ولما كان ذلك يكاد لا يتحقق دون مظهر أتبع قائلا:{ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ }(16).

فعدد وحدد الصفات بلفظ الجمع !

6 ــــ ومن احتياطات السلامة في مبدأ التآلف والتعاطف: تشريع منهج الكلمة وحدود الكلمة ومسؤولية الكلمة قال من كلمته هي العليا:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(17).

التحالف نعمة إلهية:

ففي أنصع إضاءة قرآنية حول الموضوع يأتي قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(18).

فهي تبرز نعمة التآلف المرغوبة لكل بني البشر في نطاق النعمة الوهبية (وليس الكسبية)، التي تصدر من سجل المنن الإلهية خاصة ويمكن أن تكون هذه الدعوى في نقطة أقرب إلى البصيرة مع قوله حسنت ألآؤه: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(19).

والمواد التي عجنت منها هذه النعمة ــــ الإلفة ــــ هي تعاليم الدين المبين وحبله المتين إذ قد فسر ذلك بالإيمان(20).

وهذه النعمة قمينة بالشكر الدائم الذي يجب أن يتمثل في الاهتمام بها ودعم مواقفها سواء في سطح العلاقات الثنائية أو حتى العمومية منها . .فعندها نتمكن من تلمس النعمة ولن يحتفظ النظر بصورة النعمة إلا إذا كان مرئ الضد في ذهنه لذا قال تعالى: {إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ}.

· الجواب الأنسب لسؤال:

ما هو التسامح ؟

إن التسامح يفهم بمعنى التحكم الذكي في حجم ومساحة المشكلة دون أن تكبر أو تتمدد في الموقعية النفسية فيقبل على كل إساءة بالعفو، والعفو هذا بند من بنود التسامح كما صرح الوجه اللغوي في رأس البحث .

والمتسامح قوي الأمل كثير الترجي بعيد التمني في الطرف المواجه له وبذلك يصبح صبورا على الآخر.وإذا اطلعنا على أن التسامح تطبيق لفكرة الإحسان فإنه عملية اختراق للنفسيات المأزومة دون الغفلة عن كونها مأزومة أوحى ا تعالى: { وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (20).

فمع الاطلاع على الخائنة منهم وقلة الموفين حمل وبلسان مولوي على العفو والصفح لأن العفو والصفح إحسان يناسبه خاتمة الآية{إن ا يحب المحسنين}.

وقد جاء كل ذلك في سبيل أن ندرك من هذا النوع للتآلف والتسامح أمرين:-

1 ـــ ان الصفح والعفو إحسان يحمل السقيم على الصحة والفاسد على الصلاح ولو في طول أمد وهذا ما يتحمل الصبر عليه الأنبياء عادة.

2 ـــ أن لا ينشغل ولا ينصرف فيما لا يكون ضرره ظاهر أو يكون ضرره عليه خاصة كما في التنزيل المجيد:{ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(21)

- صور ذات نضارة وغضارة:

وليست صورا لمواقف بل هي صور لمبادئ يتعين الحذو حذوها، وسيقل التعليق في مواردها لئلا يؤثر على جماليتها المشعة:

أ) الالفة لطافة تسمح بالتدخل في بعض خصوصيات الفرد:

ومن أخص الخصوصيات البيوت وقد فتح الله عز وجل بمفتاح الالفة والتقارب إحدى عشر بابا لاحدى عشر بيتا وجعل بعضها يطل على بعض وإن بعدت الشقة قال تعالى جده:{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ... وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(22).

ب) بل إن الالفة والانسجام إذا بدأ بطريقة التعارف والتدارس فسوف يفتح ابواب الحدود الإقليمية ليربط بين الشعوب وهذه هي دعوة الحق:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(23)

ج) التسامح والعفو يشيع الأمان في المجتمع بطريقة مثالية وهي تصغير الجاهل الذي لا تكبر المشكلة إلا إذا كـُـــبـّـرَ، والآية هي:{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}(24).

· ما يشين الالفة . .

تمتزج الالفة بما يذهب بصفائها كما يمتزج الماء بما يجاوره فيأخذ شيئا من ريحه أو طعمه أو لونه وهنالك يرفع بنو البشر عنه اليد لصالح الواردة من الدواب ؟!ولم تُهَمِّش هذه القضية في القرآن ولكن رصدها في آيات متناثرات على صفحات النور والكتاب المسطور وأنى لي أن أجردها هنا ولكن حسبي أن ألتقط منها ما نطمئن معه بسببية بعض السلوكيات في قطع الجاذبية بين المتآلفين:

1 التشتت الديني:

إن من أعمق أسباب التفرق على الاطلاق هو الانقسامات الدينية والتي تحدث في الدين أو المذهب الواحد عندما لا يكون أهل ذلك المذهب بمستوى من القدرة على التسامح والتآلف، وقد ألمع إليها القرآن يقول:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(25).

2 العناية بالرأي الذاتي:

وأوسط مثال يتجانف بنا عن الحساسيات أن يعتد الانسان برأيه في الآخرين ويفتح لنفسه شغلا يوميا وهو التعمق فيمن حوله وهو تحرك أراد له القرآن أن يشل قال ﷲ العظيم:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}(26)

فقد كان لبعض المسلمين في الصدر الأول اجتهادات ترتب عليها سفك للدماء المحرمة وقد تبرأ الرسول صلى ﷲ عليه واله منها !!

وهنا مثال قرآني آخر يقول رب العزة والجلال:{ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}(27)

فحسب معطى الآية يكفي لللوذان بالصمت حيال المستجد دينيا أومن لم ينكشف أمره أن يراجع الإنسان نفسه بسؤالين:

هل عليّ من حسابهم من شيء ؟

ألا أخاف أن أكون من الظالمين في نهاية المواجهة ؟

3 الغلظة والفضاضة:

نقرأ جميعا: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ }(28).

فاللين الوهبي كما هو ظاهر التعبير بالرحمة التي ربما فسرت بالعصمة، أو الكسبي، وكذا العفو عنهم أبرزا بدءا وختاما كبدل عن الفظاظة والغلظة التي تدعو للانفضاض عنه وترك الانقضاض عليه !

4 المن والأذى:

قد يتألف الغني والمستطيل الفقراءَ بالمنحة والنحلة وتهيئة الملبوس والمأكول والمشروب ليزيده قربا منهم وهذا من طبع العطاء وصميم بسط اليد إلا أن خطيئة واحدة وجنية لا يزيد عليها شيء وهي المن والأذى يقلب التألف إلى حقيقة أخرى لم يكن سعي الساعي من أجلها يقول الجواد بالعطيات:{ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}(29).

5 النزعات القومية :

وهي شكل من اشكال الحمية الجاهلية تولد الكثير من المساوئ وقد تصل إلى حد التراشق الاعلامي الذي يمتلئ باستبساط العقول وتحقير الطاقات والتشكيك في صلاحية الجوار(سوء الظن)، فيندفع الانسان أو القومية في التعبير عما يؤكد تلك الانطباعات الجائرة . . هكذا في الذكر الحكيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا

تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ}(30).

واللافت في الآية الشريفة تخطئتها للثقة المفرطة بالنفس أو الموقعية فيظن بنفسه أو بشعبه وموقعيتهم التقدم والارتفاع على شركاء المحيط، فخاطبه القرآن بما يعترف به وعيه الباطن وهو التقدير و مشروعية توقع النجاح والفوز عند الآخر {عسى أن يكونوا}...{عسى أن يكنّ }..

و التقدير أو التوقع الحسن إيجابية في النظرة وهي لا تجتمع مع الطريقة السيئة في التعامل فبتحقق النظرة العادلة تتبدل موازين العلاقة مع الآخر إلى الأحسن والعكس من العكس .

المؤمن جندي متعاون:

وهكذا توسع القرآن الكريم في هذا الموضوع حتى بين للناس أن الإلفة وما يلحقها خطوط عريضة في هذه الحياة التي يجب أن لا تخلو من القانون الذي يرتفع بها عن مشابهة حياة الغابة، قال الجليل في محكم التنزيل { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ }(31).

فكأنه يخاطب كل مؤمن بالقول: أن الالفة والتسامح والعفو ليس قضية خاصة فيما تجده علاقة فعلية بالنسبة لك وفقط . .بل هي قضية الإنسانية الأهم والأعم من بين قضاياها فأن مسؤوليتك لا تقف عند الرابطة بينك وبين الآخر فيما جمعتكم عليه الحياة من أمر معنوي (كالنسب)أو واقعي مادي .. بل ستبقى مخاطبا بالمسؤولية عن روابط الآخرين فيما بين بعضهم البعض إذا آلت إلى الخراب والاضطراب فيجب أن تتقدم من باب الهم الإنساني وتقوم بدور الترميم والتوضيب.

فأنت جندي يخلص لوظيفة الإصلاح، والعدل، والقسط، بغمض النظر عن أطراف الخصومة إن كانوا يعنونك أو لا يعنونك{ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(32).

فهي مهمة تـَطردُ في كل أشكال الخلل في العلاقات وإن لم تكن في بـُعدِ الحربِ والقتال فلا يصح الاعتذار من أحد عن دور الوساطة و ترميم العلاقة المتأثرة بأنها صغيرة أو أنها من الشأن الخاص، كيف وإن من هتافات القرآن الأخرى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ

أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(33).

فالصلاح والإصلاح وظيفة شاملة لكل حالات الفساد وإن كانت في أموال القصر الذين لا يملكون اليد ولا اللسان لصون أنفسهم وممتلكاتهم الشرعية، إذن هي ليست مهمة خاصة بوضعيات التخاصم والتدافع المباشر، هذا وفقا لما أشرنا إليه في المفتاح الأول من مفاتيح التآلف عند قول ذي الجلال:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}(34).